الباب الرابع والستون

في أن الجنة فوق ما يخطر بالبال أو يدور في الخلد وأن موضع سوط مِنها خيرٌ من الدُّنيا وما فيها

قال تعالى : ﴿ تتجافىٰ جُنُوبُهم عن المضَاجِعِ يَدْعُونَ ربَّهم خوفاً وطَمَعاً ومِمَّا رَزَقْنَاهُم يُنفقونَ. فلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة : ١٦ ـ ١٧] . وتأمل كيف قابل ما أخفوه من قيام الليل بالجزاء الذي أخفاه لهم مما لا تعلمه نفس، وكيف قابل قلقهم وخوفهم واضطرابهم على مضاجِعهم، حين يقوموا إلى صلاة الليل بقرةِ الأعينِ في الجنة .

وفي « الصحيحين » من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « قال الله عزّ وجلّ : أعددتُ لعبادِيَ الصالحينَ، ما لا عينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعتْ، ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ، ومصداقُ ذلك في كتاب الله ﴿ فلا تَعْلَمُ نفسٌ ما أُخفيَ لَهُم مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ » .

وفي لفظٍ آخر فيهما : « يقول الله عزَّ وجلَّ أعددتُ لعبادِيَ الصالحينَ ما لا عينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعتْ، ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ، ذُخراً بَلْهَ ما أطلعتكم عليه، ثم قرأ ﴿فلا تعلمُ نفسٌ ما أُخفيَ لهم من قرَّة أعينٍ﴾ الآية.

وفي بعض طرق البخاري : قال أبو هريرة : اقرؤوا إنْ شِئتم ﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ (١) .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٤٤) في بدء الخلق: باب (٨) ما جاء في صفة الجنة ، وأطرافه عنده (٤٧٧٩) و(٤٧٨٠) و(٧٤٩٨) ، ومسلم (٢٨٢٤) (٣) في الجنة ، واللفظ له. =

وفي « صحيح » مسلم من حديث سهل بن سعد الساعدي قال : شهدت من رسول الله ﷺ مجلساً وصف فيه الجنة حتى انتهى، ثم قال في آخر حديثه : « فيها ما لا عينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعتْ، ولا خطرَ على قلب بشرٍ، ثُمَّ اقترأ هذه الآية ﴿ تَتَجافى جُنُوبُهم عن المضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهم خَوْفاً وطَمَعاً ومِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ، فلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة : ١٦ ـ ١٧][1] » .

وفي « الصحيحين » من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لقابُ قوسِ أحدِكم في الجنةِ خيرٌ مِمَّا طلعتْ عليه الشّمسُ أو تغربُ »[2] .

وقد تقدم حديث أبي أمامة عن النبي ﷺ : « ألا مُشَمِّرٌ للجنةِ، فإنَّ الجنَّةَ لا خطرَ لها ، هي وربِّ الكعبةِ نورٌ يتلألأ، وريحانةٌ تهتزُّ، وقصرٌ مشيدٌ، ونهر مُطَّردٌ، وثمرةٌ نضيجةٌ ، وزوجةٌ حسناءُ جميلةٌ ، وحُلَلٌ كثيرةٌ ، ومقام في أبدٍ في دارٍ سليمة، وفاكهةٍ وخضرةٍ وحَبْرةٍ ونعمةٍ، في محلةٍ عاليةٍ بهيةٍ »[3] .

ولو لم يكن من خطر الجنة وشرفها إلا أنه لا يُسأل بوجه الله غيرها، لكفاها شرفاً وفضلاً . كما في « سنن » أبي داود من حديث سليمان بن معاذ، عن محمد بن المنكدر، عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يسأل بوجْهِ اللهِ إلا الجنَّة »[4] .

= ذخراً : ادخاراً لكم .
بلْه ما أطلعتكم عليه : أي دع عنك ما أطلعكم الله عليه، فالذي لم يطلعكم عليه أعظم .
بله : اسم فعل مبني على الفتح بمعنى : دَعْ . وقيل : معناها : سوى .

(١) أخرجه مسلم (٢٨٢٥) في الجنة : باب (٥) .

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٩٣) في الجهاد : باب (٥) الغدوة والروحة في سبيل الله ، ومسلم (١٨٨٢) في الإمارة : باب (٣٠) فضل الغدوة والروحة في سبيل الله. القاب : المقدار، وما بين نصف وتر القوس، وطرفه يقال على قاب قوسين كناية عن القرب .

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٣٣٢) في الزهد: باب (٣٩) صفة الجنة. قال في « الزوائد » : في إسناده مقال، والضحاك المعافري الدمشقي ذكره ابن حبان في «الثقات»، وقال الذهبي في «طبقات التهذيب»: مجهول. وسليمان بن عيسى مختلف فيه : وباقي رجال الإسناد ثقات. وصححه ابن حبان (٢٦٢٠) في « الموارد » .

(٤) أخرجه أبو داود (١٦٧١) في الزكاة : باب (٣٧) كراهية المسألة بوجه الله تعالى .

وفي « معجم » الطبراني من حديث بقية، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « لما خَلَقَ الله جَنَّةَ عَدْنٍ ، خَلَقَ فيها مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ ، ولا أُذُنٌ سمعتْ، ولا خَطَرَ على قلبِ بشرٍ، ثم قال لها : تكلمي . فقالت: ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ »[1] .

وفي «صحيح» البخاري من حديث سهل بن سعد قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: « مَوضعُ سوْطٍ في الجنةِ خيرٌ من الدُّنيا ومَا فيهَا»[2].

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن همام، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لَقِيدُ سَوْطِ أحدِكُم مِنَ الجَنَّةِ خَيرٌ مِمَّا بينَ السَّماءِ والأرض»[3] وهذا الإسناد على شرط « الصحيحين » .

وقال الترمذي حدثنا سويد بن نصر : حدثنا ابن المبارك، أنبأنا ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن داود بن عامر بن سعد بن أبي وقّاص، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ قال : « لو أن ما يُقِلُّ ظُفْر مما في الجنةِ بدا لتزخرفتْ له ما بينَ خَوافِقِ السَّماواتِ والأرضِ ، ولو أنَّ رجلاً من أهلِ الجنةِ اطَّلعَ فبدا أساورُهُ لطمَسَ ضَوءَ الشمسِ كما تطمسُ ضوءَ الكواكبِ » قال الترمذي : هذا حديث غريب، لا نعرفه بهذا الإسناد إلا من حديث ابن لهيعة، وقد روى يحيى بن أيوب هذا الحديث، عن يزيد بن أبي حبيب، وقال : [عن عمر بن سعد] بن أبي وقاص، عن النبي ﷺ[4].

قلت : وقد رواه ابن وهب أنبأنا عمرو يعني ابن الحارث أن سليمان بن حميد حدّثه أن عامر بن سعد بن أبي وقّاصَ [حدثه] قال سليمان: لا أعلم إلا

---

(١) ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١٠/٣٩٧ وقال : رواه الطبراني في « الأوسط » و« الكبير » وأحد إسنادي الطبراني في « الأوسط » جيّد .

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٥٠) في بدء الخلق : باب (٨) ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة .

(٣) أخرجه أحمد في « مسنده » ٢/٣١٥ ، و٤٨٣ .

(٤) أخرجه الترمذي (٢٥٣٨) في صفة الجنة : باب (٧) ما جاء في صفة أهل الجنة، وأخرجه أحمد ١/١٦٩ و١٧١ ، وابن المبارك في « زوائد الزهد » (٤١٦) ، والبغوي في « شرح السنة » (٤٣٧٧)، وابن كثير في «النهاية» ٢/٤٤٢، ونسبه لابن أبي الدنيا .

أنه حدثني عن أبيه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لو أن ما أقلَّ ظفرٌ من الجنةِ برزَ للدنيا لتزخرفَ له ما بينَ السماءِ والأرضِ»[1].

وفي البـاب : عن أنس بن مالـك، وأبي سعيد الخـدري، وعبـدالله بن عمرو بن العاص. وكيف يقدر قدر دارٍ غرسها الله بيده، وجعلها مقرًّا لأحبابه، وملأها من [رحمته] وكرامته ورضوانه، ووصف نعيمَها بالفوز العظيم، وملكها بالملك الكبير، وأودعها جميع الخيـر بحذافيـره : وطهَّرَهـا من كلِّ عيبٍ وآفـةٍ ونقصٍ .

فإن سألت عن أرضها وتربتها ، فهي المسك والزعفران .

وإن سألت عن سقفها ، فهو عرشُ الرحمن .

وإن سألت عن ملاطها فهو المسك الأذفر.

وإن سألت عن حصبائها فهو اللؤلؤ والجوهر.

وإن سألتَ عن بنائها فلبنةٌ من فضةٍ ولبنة من ذهب .

وإن سألت عن أشجارها فما فيها شجرة واحدة إلا ساقُها من ذهب وفضة، لا من الحطبِ والخشبِ،

وإن سـألت عن ثمـرهـا فـأمثـال الفـلالِ، ألين من الـزبـد، وأحلى من العسل .

وإن سألت عن ورقها فأحسن ما يكن من رقائق الحُلَلِ،

وإن سألت عن أنهارها فأنهار من لبنٍ لم يتغيرْ طعمُهُ، وأنهار من خمرٍ لذةٍ للشاربين، وأنهار من عسل [مصفى] .

وإن سألتَ عن طعامهم ففاكهة مما يتخيَّرونَ، ولحمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُون ،

وإن [سألت] عن شرابهم التسنيم والزنجبيلُ والكافورُ .

وإن سألت عن آنيتهم فآنية الذهب والفضة في صفاء القوارير .

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٥٧) وما بين المعكوفين منه، وهو جزء من الحديث قبله فانظره.

وإن سألت عن سعة أبوابها فبين المصراعين مسيرة أربعين من الأعوام، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام.

وإن سألت عن تصفيق الرياح لأشجارها فإنها تستفز بالطَّرب لمن يسمعها.

وإن سألت عن ظِلِّهَا ففيها شجرة واحدة يسير الراكب المجدُّ السريع في ظلها مئة عام لا يقطعها.

وإن سألت عن سعتها فأدنى أهلها يسير في ملكه وسرره وقصوره وبساتينه مسيرة ألفي عام.

وإن سألت عن خيامها وقبابها، فالخيمة الواحدة من درَّةٍ مجوفة طولها ستون ميلاً من جملة الخيام.

وإن سألت عن علاليها[1] وجواسقها[2] فهي غرف من فوقها غرف مبنية، تجري من تحتها الأنهار.

وإن [سألت] عن ارتفاعها فانظر إلى الكوكب الطالع، أو الغارب في الأفق الذي لا تكاد تناله الأبصار.

وإن سألت عن لباس أهلها فهو الحرير والذهب.

وإن سألت عن فرشها فبطائنها من إستبرق مفروشة في أعلى الرتب.

وإن سألت عن أرائكها فهي الأسرة عليها البشخانات، وهي : الحجال[3] مُزَرَّة بأزرار الذهب. فما لها من فُروج ولا خلال.

وإن سألت عن أسنانهم فأبناء ثلاثة وثلاثين على صورة آدم [عليه السلام] أبي البشر.

وإن سألت عن وجوه أهلها وحسنهم، فعلى صورة القمر.

وإن سألت عن سماعهم فغناء أزواجهم من الحور العين، وأعلى منه سماع أصوات الملائكة والنبيّين. وأعلى منهما سماع خطاب ربِّ العالمين.

---

(١) علاليها جمع العُلِّيَة : بالضم والكسر الغرفة.

(٢) الجواسق : القصور، واحدها : جوسق.

(٣) الحجلة : الكِلَّة، الناموسية.

وإن سألت عن مطاياهم التي يتزاورون عليها، فنجائب أنشأها اللهِ ممَّا شَاءَ تسير بهم حيث شاؤوا من الجِنان .

وإن سألت عن حُليّهم وشارتهم، فأساور الذهب واللؤلؤ على الرؤوس ملابس التيجان .

وإن سألت عن غلمانِهم فولدانٌ مخلدونَ كأنَّهم لؤلؤٌ مكنونٌ .

وإن سألت عن عرائسهم وأزواجهم، فَهُنَّ الكواعب الأترابُ، اللاتي جرى في أعضائهنَّ ماءُ الشباب، فللوردِ والتفاحِ ما لبسته الخدود، وللرُّمان ما تضمنته النهودُ، وللؤلؤ المنظومِ ما حوته الثغورُ، وللدقة واللّطافةِ ما دارتْ عليه الخصورُ، تجري الشمس في محاسن وجهها إذا برزت، ويضيء البرق من بين ثناياها إذا تبسمت، إذا قابلت حبها، فقل ما شئت في تقابل النيرين، وإذا حادثته فما ظنّك بمحادثة الحبيبين . وإن ضمها إليه فما ظنك بتعانق الغصنين، يرى وجهه في صحن خدِّها، كما يرى في المرآة التي جلّاها صيقلها، ويرى مخَّ ساقها من وراء اللحم، ولا يستره جلدها ولا عظمها ولا حُلَلُها . لو اطلعت على الدنيا لملأت ما بينَ الأرضِ والسماءِ ريحاً ، ولاستنطقت أفواهَ الخلائقِ تهليلاً وتكبيراً وتسبيحاً ، ولتزخرف لها ما بين الخافقين، ولأغمضت عن غيرها كلَّ عينٍ ، ولطمستْ ضوءَ الشمسِ كما تطمسُ الشمس ضوء النجوم ، ولآمن من علىوجهها بالله الحيِّ القيومِ ، ونصيفُها على رأسها خير من الدنيا وما فيها، ووصاله أشهىٰ إليه من جميع أمانيها، لا تزداد على تطاول الأحقاب إلا حسناً وجمالاً، ولا يزدادُ لها على طول المدى إلا محبة ووصالاً، مبرأة من الحبلِ والولادةِ والحيضِ والنفاسِ ، مطهرةً من المخاط والبصاقِ والبولِ والغائطِ وسائرِ الأدناس، لا يفنى شبابُها،ولا تبلىٰ ثيابُها، ولا يخلقُ ثوب جمالها، ولا يملُّ طيبُ وصالها، قد قصرتْ طرفَها على زوجها، فلا تطمحُ لأحدٍ سواه، وقصرت طرفه عليها فهي غاية أمنيته وهواه، إن نظر إليها سرته، وإن أمرها أطاعته ، وإن غاب عنها حفظته، فهو معها في غاية الأماني والأمان، هذا ولم يطمثها قبله إنس ولا جانّ، كلما نظر إليها ملأت قلبه سروراً، وكلّما حدثتهُ ملأتْ أذنَهُ لؤلؤاً منظوماً ومنثوراً، وإذا برزتْ ملأتْ القصرَ والغرفة نوراً .

وإن سألت عن السنِّ فأترابٌ في أعدل سنِّ الشبـاب.
وإن سألت عن الحسنِ فهل رأيت الشمس والقمـر.
وإن سألتَ عن الحدَقِ فأحسن سواد في أصفى بياض، في أحسن حـور.
وإن سألت عن القدودِ فهل رأيت أحسن الأغصـان.
وإن سألت عن النهود فهنّ الكواعب، نهودهن كألطف الـرمـانِ.
وإن سألت عن اللون فكأنـه الياقـوتُ والمرجان.
وإن سألت عن حسن الخلقِ فهنَّ الخيراتُ الحسان، الـلاتي جمـع لهن بين الحسن والإحسـان، فأعطين جمالَ الباطنِ والظاهرِ، فهن أفراح النفوس، وقرة النواظر.

وإن سألت عن حُسن العشرة، ولذّة ما هنالك فهن العُرُبُ المتحببات إلى الأزواج بلطافةِ التبعلِ التي تمتزج بالزوج أي امتزاج.

فما ظنك بامرأة إذا ضحكت في وجه زوجها أضاءت الجنة من ضحكها، وإذا انتقلت من قصر إلى قصر. قلت: هذه الشمس متنقلة في بروج فَلَكِها، وإذا حاضرت زوجهـا فيا حسن تلك المحـاضرة، وإن خـاصرتـه فيا لـذة تلك المعانقة والمخاصرة:

وحـديثُهـا السحرُ الحـلالُ لـو انـه لم يَجنِ قتـلَ الـمسـلم المتحـرِّزِ
إنْ طـال لم يُمَلَلْ وإن هي حـدثتْ ودَّ المحـدَّثُ أنّهـا لم تُـوجِـزِ[1]

إن غنت فيـالذَّةَ الأبصـار والأسماعِ، وإن آنستْ وأمتعت فيـا حبذا تلك المؤانسة والإمتاع. وإن قَبَّلت فلا شيءَ أشهى إليه من ذلك التقبيل، وإن نولت فلا ألذَّ ولا أطيبَ من ذلك التنويل.

هذا، وإن سألت عن يوم المزيد، وزيارة العزيز الحميـد، ورؤية وجهـه المنزه عن التمثيل والتشبيه، كما ترى الشمس في الظهيرة والقمر ليلة البدر، كما

---

(١) البيتان لابن الرومي ديوانه: ٣/١١٦٤ وفيه بيت بينهما

شـرك الـنـفـوس وفـتـنـةٌ مـا مـثـلهـا لـلـمـطـئـن، وعُـقْـلة الـمـسـتـوفـز

وفيه بدل خدَّثت أوجزت.

تواتر عن الصادق المصدوق النقل فيه، وذلك موجود في الصِّحَاحِ ، والسننِ، والمسانيدِ. من رواية جرير، وصهيب، وأنس، وأبي هريرة، وأبي موسى، وأبي سعيد، فاستمع يوم ينادي المنادي : يا أهلَ الجنةِ، إنَّ ربَّكم تبارك وتعالى يستزيركم فحيَّ على زيارتهِ، فيقولونَ : سمعاً وطاعة، وينهضون إلى الزيارة مبادرينَ، فإذا بالنجائبِ قد أعدتْ لهم، فيستوونَ على ظهورِها مسرعينَ، حتى إذا انتهوا إلى الوادي الأفيح الذي جُعل لهم موعداً . وجمعوا هناك، فلم يغادر الداعي منهم أحداً، أمرَ الربُّ تبارك وتعالى بكرسيهِ فنصبَ هناك، ثم نصبت لهم منابرُ من نور، ومنابرُ من لؤلؤٍ، ومنابرُ من زبرجدٍ، ومنابرُ من ذهب، ومنابرُ من فضةٍ، وجلس أدناهم ـ وحاشاهم ـ من الدنيا أن يكونَ فيهم دنيء] على كثبان المسك، ما يرون أن أصحاب الكراسي فوقهم في العطايا، حتى إذا استقرتْ بهم مجالسُهم، واطمأنتْ بهم أماكنهم، نادى المنادي : يا أهلَ الجنةِ إن لكم عند الله موعداً يريدُ أن ينجزَكموه. فيقولون : ما هو؟ ألم يبيضْ وجوهنا ويثقلْ موازيننا، ويدخلْنا الجنةَ ويزحْزِحْنا عن النارِ، بينما هم كذلك إذ سطع لهم نورٌ أشرقتْ له الجنة، فرفعوا رؤوسهم، فإذا الجبارُ جلَّ جلاله ، وتقدستْ أسماؤه ، قد أشرف عليهم من فوقهم وقال : يا أهلَ الجنة : سلامٌ عليكم، فلا تردُّ هذه التحيةُ بأحسنَ من قولهم : اللهم أنتَ السلامُ، ومنكَ السلامُ، تباركتَ ياذا الجلالِ والإكرام، فيتجلىٰ لهم الربّ تبارك وتعالى يضحك إليهم، ويقول : يا أهلَ الجنةِ، فيكونُ أولَ ما يسمعونَ منه تعالى : أينَ عبادي الذينَ أطاعوني بالغيبِ، ولم يروني، فهذا يومُ المزيدِ، فيجتمعونَ على كلمة واحدة أن قد رضينا، فارضَ [عنّا]، فيقول : يا أهلَ الجنّةِ، إنِّي لو لم أرْضَ عنكم لم أسكنْكُم جنتي. هذا يومُ المزيدِ، فسلوني. فيجتمعون على كلمة واحدةٍ : أرنا وجهكَ ننظرْ إليه، فيكشفُ الرَّبُّ جلّ جلالهُ الحجبَ، ويتجلىٰ لهم، فيغشاهم من نوره ما لولا أن الله سبحانه وتعالى قضى أن لا يحترقوا لاحترقوا . ولا يبقىٰ في ذلك المجلس أحد إلا حاضرهُ ربُّه تعالى محاضرة، حتى إنه ليقول : يا فلان أتذكرُ يوم فعلتَ كذَا وكذَا، يذكره ببعضِ غُدراتِهِ في الدنيا، فيقول : يا ربِّ ألم تغفرْ لِي ؟ فيقول : بلى بمغفرتي بلغت منزلتك هذه .

فيالذةَ الأسماعِ بتلك المحاضرة، ويا قرَّةَ عيونِ الأبرار بالنظر إلى وجهه الكريم في الدار الآخرة، ويا ذِلةَ الرَّاجعينَ بالصفقةِ الخاسرةِ . ﴿ **وجُوهٌ يومَئِذٍ ناضِرَةٌ إلى رَبِّها نَاظِرَةٌ ، ووجُوهٌ يومَئِذٍ باسرةٌ . تَظنُّ أن يُفْعَلَ بها فاقرةٌ** ﴾ [القيامة : ٢٢ ـ ٢٥] .

فحيّ على جناتِ عدنٍ فإنّها ... منازِلُك الأولى وفيها المخيمُ
ولكننا سبي العدو فهل ترى ... نَعود إلى أوطاننا ونسلَّمُ